الدعاء إلى الإسلام
رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الدعاء إلى الإسلام

رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

* **أبو بكر الصديق يقول لجبابرة قريش ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ :**

لله درك يا صديق هذه الأمة الأكبر:

● روى البخاري عن عروة بن الزبير: سألتُ ابن العاص فقلتُ: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول اللَّه ﷺ؟ قال: بينما النبي ﷺ يصلّي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ الآية.

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول اللَّه ﷺ مرة حتى غُشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل يُنادي: ويلكم ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ فقالوا: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون[1].

وزاد البزار: فتركوه وأقبلوا على أبي بكر.

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحّ أبو بكر على رسول اللَّه ﷺ في الظهور،

---

(١) رواه أبو يعلى وأخرجه أيضًا البزار، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرّجاه.

فقال: «يا أبا بكر، إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يُلحّ حتى ظهر رسول اللَّه ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته؛ وقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبًا، ورسول اللَّه ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى اللَّه وإلى رسول اللَّه ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووُطئ أبو بكر رضي الله عنه، وضُرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويُحرّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر رضي الله عنه، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد، وقالوا: لئن مات أبو بكر، لنقتلن عتبة ابن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول اللَّه ﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه، فلمّا خلت به ألحّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول اللَّه؟ فقالت: واللَّه ما لي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبداللَّه؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبداللَّه، وإن كنت تحبّين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دَنِفًا[1] فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: واللَّه إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم اللَّه لك منهم. قال: فما فعل رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم. قال: فإن للَّه عليّ أن لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا، أو آتي

(١) الدَّنِف: المريض الذي لزمه المرض.

رسول اللَّه ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول اللَّه ﷺ. قال: فأكبّ عليه رسول اللَّه فقبّله، وأكبّ عليه المسلمون، ورقّ له رسول اللَّه ﷺ رقة شديدة. فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول اللَّه، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى اللَّه وادع اللَّه لها، عسى أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول اللَّه ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت، وأقاموا مع رسول اللَّه ﷺ في الدار شهرًا، وهم تسعة وثلاثون رجلاً[1].

□ قال ابن إسحاق: لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأظهر إسلامه، دعا إلى اللَّه عز وجل، وكان أبو بكر رجلاً مألوفًا لقومه محبًّا سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجرًا ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه، ممّن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه ـ فيما بلغني ـ الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد اللَّه، وسعيد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول اللَّه ﷺ ومعهم أبو بكر رضي الله عنه، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول اللَّه ﷺ وآمنوا بما جاء من عند اللَّه».

فللَّه در الصديق رضي الله عنه أول خطيب في الإسلام، ومن أسلم على يديه

---

(١) رواه الحافظ أبو الحسن الأطرابلس ـ انظر «حياة الصحابة» للكاندهلوي (١/ ٢٥٩ ـ ٢٦١).

خمسة من العشرة المبشرين بالجنة[١] .

*** الصحابي عديّ بن حاتم الطائي يعود إلى الإسلام على يديه ألف وخمسمائة من المرتدين:**

للَّه درّ هذا الصحابي المبارك عديّ بن حاتم الطائي يهدي اللَّه على يديه ألفًا وخمسمائة رجل..

بارك اللَّه له في دعوته وسعيه لصدقه وإخلاصه:

«لما ارتدّ بنو طيء وانضموا إلى جيش المتنبئ طليحة بن خويلد الأسدي، دعاهم عدي بن حاتم الطائي ﷺ إلى الإسلام بأمر من الصديق ﷺ، وذلك قبل بدء القتال معهم، فعادوا بفضل اللَّه مع عديّ ﷺ إلى خالد ﷺ مسلمين، وكانوا خمسمائة مقاتل.

كما دعا عديّ بن حاتم ﷺ بني جديلة، الذين كانوا قد انضمّوا أيضًا إلى المتنبئ طليحة الأسدي، فاستجابوا لعديّ ﷺ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب»[٢] .

*** دخول التتار والمغول أحفاد جنكيزخان الإسلام على يد الشيخ جمال الدين الذي لا يعرفه أحد:**

تكلّم الشيخ الندوي عن دور الربانيين في إخضاع التتار الفاتحين لدين أمة مفتوحة فقال ـ رحمه اللَّه ـ:

«لما فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، وأثخنوه

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٢٩).

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، و«الكامل في التاريخ» (٢/ ٢٣٤).

جراحًا وقتلاً، ولم يتركوا فيه إلا رُوحًا ضعيفة ونفسًا خافتًا، وفُلّ سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر ولا يعمل، وأغمده المسلمون يأسًا وقنوطًا، وآمن الناس بأن التتار لا يُمكن إخضاعهم وأن العالم الإسلامي قد كُتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج، وأن الإسلام لا مستقبل له، قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح ـ على إحصائه واستقصائه ـ يجهل أسماء كثير منهم، يتسرّبون في هؤلاء الغلاظ الشداد، يفتحون قلوبهم للإسلام، حتى تفتّحت له وأحبّته، وصاروا يدخلون في دين اللَّه أفواجًا.

وهكذا أخضعوا للإسلام من أخضع العالم الإسلامي بالأمس من شرقه إلى غربه، وأدخلوا أمة قهرت الأمم كلها في عصرها في دين لا يحميه سيف، ولا يدافع عنه جيش، وقد كانوا ثلاثة ديانات تتنافس في اكتساب هذه القوة القاهرة للعالم: «البوذية» و«المسيحية» و«الإسلام»، وكانت البوذية أقرب إلى فطرتها وبيئتها، وكانت النصرانية أرفع مكانة وأقرب زلفى في مجالس سلاطينها، ولكن الإسلام ـ بفضل دعاته المخلصين ـ انتصر على منافسيه ـ البوذية والنصرانية ـ وأسلم التتار أمة وجنسًا، وكوّنوا دولاً إسلامية كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمّل بها تاريخ الإسلام، وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة لا تعلل إلاّ بمشيئة اللَّه تعالى وتأييده، وتفوّق دعاة الإسلام في الإخلاص والروحانية على دعاة البوذية والنصرانية.

❑ يقول أرنلد: «لقد كان منافسة هذه الديانات العظمى في إخضاع القوة الباهرة لعقيدتها صراعًا عجيبًا ينظر إليه التاريخ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب، كل يحاول أن يُخضع هؤلاء الوحوش القساة الذين داسوا هذه الديانات وحطّموها. لم يكن أحد يتوقّع أن الإسلام سينتصر في هذه

المعركة ويهزم البوذية والنصرانية ويستأثر بالتتار، فقد كانت عاصفة هجومهم وغارتهم أشد على المسلمين منها على غيرهم، وكانت خسارتهم في ذلك أعظم من خسارة أية أمة ودولة وديانة، وقتل التتار علماء المسلمين وفقهاءهم وأسروهم واستعبدوهم، وقد كان ملوك التتار وأمراؤهم يعطفون على كل ديانة سوى الإسلام.

ولكن رغم هذه المصاعب دان المغول والأمم الوحشية التي جاءت بعدهم بديانة أمة داستها بأقدامها واعتنقت الإسلام».

❑ قال «أرنلد»: «أسلم سلطان (كاشغر) الذي كان يُسمّى: «تغلق تيمورخان» (١٣٤٧م ـ ١٣٦٣م) على يد الشيخ «جمال الدين» الذي جاء من بخارى: وكان من خبره، أنه كان مع رفقة له في رحلته، فمرّوا بأرض السلطان التي كان قد حماها للصيد وهم لا يشعرون، وأمر بهم الملك فأُوثقوا وعُرضوا عليه، وقال... وقد استشاط غضبًا: كيف دخلتم في حماي من غير إذن؟.

قال الشيخ: نحن غرباء، ولم نشعر بأننا نمشي على أرض ممنوعة. ولمّا علم الملك أنهم إيرانيون، قال في احتقار وسخرية: حتى الكلب أفضل من الإيرانيين.

قال الشيخ: صدق الملك، لولا أن اللّه أكرمنا بالدين الحق لكنّا أذلّ من الكلاب، وتحيّر الملك ومضى للصيد، وبقيت الكلمة تشغل فكره، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد، ولما رجع خلا بالشيخ وقال: فسِّر لي ما قلت، وأخبرني ما تعني بالدين الحق؟.

وفسّر الشيخ الإسلام في حماسة وقوة تفسيراً رقّ له قلب السلطان، وصوّر الكفر تصويراً بشِعًا هائلاً فزع منه السلطان وأيقن أنه على ضلال وخطر.

ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لما استطاع أحد أن يدخل قومه في الإسلام ورجا الشيخ أن ينتظر حتى إذا سمع أنه ولي الملك، وجلس على أريكة الحكم زاره.

وكانت المملكة «الجغتائية» قد توزّعت في إمارات متعددة، واستطاع «تغلق تيمور» أن يجمعها، ويكوّن منها مملكة صغيرة، ورجع الشيخ «جمال الدين» إلى بلاده، ومرض مرضًا شديدًا، ولما حضرته الوفاة، دعا ولده «رشيد الدين» وقال له: «إن تغلق تيمور» سيكون في يوم من الأيام ملكًا عظيمًا، فإذا سمعت بذلك تزوره، وتقرئه مني السلام، وتذكّره بما وعدني به من اعتناق الإسلام، وكان كذلك.

فقد بويع «تغلق تيمور» بالملك، وجلس مكان أبيه، ودخل الشيخ «رشيد الدين» في المعسكر لينفّذ وصية أبيه، ولكنه لم يخلص إلى الملك، فاحتال، وبدأ يومًا يؤذن بصوت عال عند خيمة السلطان في الصباح الباكر، فطار نوم السلطان وغضب وطلب الشيخ «رشيد الدين»، وحضر الشيخ، وبلّغ السلطان تحية والده، وكان السلطان على ذكْر منه، فنطق بالشهادتين وأسلم ثم نشر الإسلام في رعيّته، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التي كانت تحت سيطرة أولاد جغتاي بن جنكيزخان»[1].

*** عبدالله بن ياسين بن مكوك الجزولي العالم العابد الزاهد مؤسس دولة المرابطين:**

الشيخ عبدالله بن ياسين الجزولي ولد في قرية قرب أودغشت في طرف صحراء غانة تتلمذ على يد الشيخ وجاج بن زولو الذي أمره أن يسير إلى

(١) «ربانية لا رهبانية» للشيخ أبي الحسن الندوي ص(٣١ ـ ٣٥) وكتاب «الدعوة إلى الإسلام» لأرنلد ص(٢٥٦).

وطن الملثمين «موريتانيا» داعيًا ومصلحًا آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، وكان ـ رحمه اللَّه ـ متبعًا هدي السلف فحارب البدع وأصلح العقائد، وبنى رباطًا ربّى فيه من دخله على الزهد والتقشف وتعليم الكتاب والسنة، وكان يرسل من رباطه بعوثًا إلى القبائل لترغيب الناس في الاتباع، واجتمع له من التلاميذ نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة، وقام عبداللَّه بن ياسين خطيبًا في تلاميذه فوعظهم وذكّرهم بنعمة اللَّه عليهم بأن هداهم إلى الصراط المستقيم وأن عليهم الآن أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وأن يجاهدوا في اللَّه حق جهاده[1] فقالوا: مرنا بما شئت تجدنا سامعين طائعين، ثم أمر هؤلاء المرابطين أن يخرجوا على بركة اللَّه لينذروا قومهم ويخوّفوهم عقاب اللَّه ويبلّغوهم حجته، «فإن تابوا ورجعوا إلى الحق فخلّوا سبيلهم، وإن أبوا ذلك وتمادوا في غيّهم ولجوا في طغيانهم استعنّا باللَّه تعالى عليهم وجاهدناهم حتي يحكم اللَّه بيننا وهو خير الحاكمين».

وتمكن من إخضاع قبيلة جدالة بعد قتالهم وذلك في سنة ٤٣٤هـ، ثم سار إلى لمتونة وقاتلهم حتى ظهر عليهم وأذعنوا إلى الطاعة والتوبة، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة. وكذا فعل بأهل مسوفة ثم باقي قبائل صنهاجة، وجعل يعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، وجعل يحيى بن عمر أمير المرابطين فضرب عبداللَّه بن ياسين أعظم المثل في الزهد في المناصب والملك والمجد ولخّص دوره للمرابطين في قوله: «إنما أنا معلم دينكم».

ثم سار إلى مملكة غانة وخضعت مدينة أودغست سنة ٤٤٦ للمرابطين.

□ ولما اجتمع فقهاء سلجماسة ودرعة بالمغرب الأقصى سنة ٦٤٦هـ وكتبوا إلى عبداللَّه بن ياسين يرغّبونه في الوصول إلى بلادهم ليطهرها من

(١) «العبر» لابن خلدون (٦/ ٣٧٥).

المنكرات وشدة العسف من الأمراء. وعرفوه ما هم فيه من الذل والصغار من جرّاء أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي، وكان هذا النداء مدعمًا بخطاب من شيخه وجاج يؤكد فيه ضرورة نجدة أهل سلجماسة ودرعة. واستطاع أن يردع أهل درعة وأن يقتل مسعود المغراوي بعد غزوه وقتاله سنة ٤٤٦هـ.

❑ وبعد احتلال درعة دخل عبداللَّه بن ياسين سجلماسة وأقام بها وأصلح أحوالها، وأزال المنكرات، وقطع آلات اللهو، وأحرق الدور التي كانت تباع فيها الخمور، وأزال المكوس والمغارم، ومحا ما أوجب الكتاب والسنة محوه.

❑ ثم سار إلى قبائل وريكة وهيلات من قبائل المصامدة بأغمات فأمرهم ونهاهم، ثم سار إلى السوس وماسة، وتقدم المرابطون إلى تارودانت بالسوس وكان فيها قوم من الشيعة والروافض يدعون البجلية نسبة إلى عبداللَّه البجلي الرافضي فأخضوعهم للكتاب والسنة.

❑ ثم سار إلى تامسنا[1] وكانت بها قبائل برغواطة وكانوا ذوي نحلة ضالة وعقائد فاسدة، ورأى ابن ياسين أن جهاد هؤلاء البرغواطيين المارقين عن الدين من أوكد الأمور، واعتبره من أولويات المرابطين لاستئصال شأفة هذا المنكر المستشري الذي استعصى على من حكموا المغرب قبل ذلك من بني يفون.

واستشهد في قتالهم عبداللَّه بن ياسين بعد أن أصيب في هذه المعركة، وحُمِل إلى عسكره وبه رمق، فجمع أشياخ المرابطين ورؤساءهم وقال لهم: «يا معشر المرابطين! إنكم في أرض أعدائكم وإني ميت في يومي هذا فإياكم

(١) تاسنا: سهل يقع إلى الشمال من وادي أم الربيع يمتد على ساحل المحيط من الرباط إلى الدار البيضاء وتسمى الآن بالشوية.

أن تجبنوا أو تفشلوا فتذهب ريحكم، وكونوا أعوانًا على الحق وإخوانًا في ذات اللَّه تعالى»[١] . ويوم مات ـ رحمه اللَّه ـ ترك للمرابطين دولة تمتد من حدود نهر السنغال إلى وسط المغرب الأقصى لقد ترك عبداللَّه بن ياسين لأتباعه هدفًا ساميًا يعيشون من أجله هو إعلاء كلمة اللَّه، وقد حرص عبداللَّه أن يتجلى هذا في كل أعمال المرابطين، فالنقود التي ضربوها منذ سنة ٤٥٠هـ مكتوب عليها الشهادتان والآية الكريمة ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾. وكان قوام منهجه الالتزام بشرع اللَّه في كل الأمور صغيرها وكبيرها. وقد أثمر ذلك المنهج انمحاء البدع والفرق الضالة وتوحيد المغرب الأقصى مذهبيًّا على مذهب أهل السنة والجماعة لأول مرة في تاريخه[٢] . وكتب المرابطون اسم الخليفة العباسي على سكتهم.

❑ لقد كان عبداللَّه بن ياسين ـ رحمه اللَّه ـ ذا علم واسع، وكان خطيبًا مفوّهًا بليغًا ومؤمنًا مخلصًا لرسالته متفانيًا في تحقيقها صابرًا على ما أصابه فيها.

❑ وكان نموذجًا حيًّا لما يدعو إليه فقد كان كثير الصوم متورعًا لا يأكل إلا من الصيد أو عمل يده متقشفًا في المأكل والمشرب[٣] .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامع

---

(١) «عبداللَّه بن ياسين» لعبداللَّه كنون ص(٢٦)، و«روض القرطاس» لابن أبي زرع ص(١٣٢).

(٢) «عبداللَّه بن ياسين» لعبد اللَّه كنون ص(٢٣).

(٣) «روض القرطاس» ص(١٢٤).

*** إسلام ملك مالي وسنغاي وجنى على يد الدعاة:**

جهاد عظيم قام به الدعاة والعلماء والتّجار والأمراء لنشر الإسلام في غرب أفريقية وجنوبها من السودان الغربي حتى موريتانيا.

وكان للأمير أبي بكر بن عمر دور كبير في ذلك، فلقد عهد بأمر المغرب إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين بمشهد من شيوخ المرابطين وأعيان الدولة والكتاب والشهود ووصّاه قائلاً: «يا يوسف إني وليّتك هذا الأمر وإني مسئول عنه فاتق اللّه في المسلمين وأعتقني وأعتق نفسك ولا تضيّع من أمور رعيّتك شيئًا فإنك مسئول عنهم، واللّه تعالى يصلحك ويمّدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك، وهو خليفتي عليك وعليهم»[1].

❑ ويمّم هذا الأمير الصالح وجهه إلى أرض الملثّمين بموريتانيا لمواصلة الجهاد ونشر الإسلام بين أهل السودان الغربي.

وغرس دعاة الإسلام البذور الأولى للإسلام في السودان الغربي وأمضى الأمير أبو بكر بن عمر خمسة عشر عامًا في الجهاد والدعاء إلى الإسلام وتُوّجت جهوده بسقوط دولة غانا بيد المرابطين سنة ٤٦٩هـ واعتنق ملك غانة الإسلام فأبقاه الأمير أبو بكر في ملكه.

❑ وإلى جانب مملكة غانة دخلت دولة التكرور في حوض السنغال الإسلام، وأسلم ملكها وارجابي بن رابيس في مطلع القرن الخامس الهجري على يد هؤلاء الدعاة التجار، وقد أقام وارجابي شرائع الإسلام وحمل رعاياه عليها وحقق بصائرهم فيها.

ولم يكتف هذا الملك التكروري بهذا بل حمل دعوة الإسلام إلى الممالك المجاورة فأسلم أهل سلي على يديه.

---

(١) «روض القرطاس» لابن أبي زرع ص(١٣٥).

وظل الأمير أبو بكر بن عمر يجاهد في اللّه بالقول والعمل إلى أن استشهد سنة ٤٨٠هـ. وقد دُفن الأمير أبو بكر بموضع استشهاده في المقسم بأرض تكانت في موريتانيا.

❑ ولا يُنسى دور الإمام أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي القاضي بمدينة أزوكي بالصحراء في الدعوة إلى اللّه على بصيرة ونشر الإسلام في الصحراء إلى أن تُوفي بها سنة ٤٨٩هـ.

❑ وانظر إلى همة الدعاة في دعوة الملوك إلى الإسلام:

كيف اعتنق ملك مالي[١] الإسلام في أواسط القرن الخامس الهجري قحطت بلاد هذا الملك ـ وتسمّيه بعض المصادر برمندانا[٢] ـ سنة تلو سنة فاستسقوا بقرابينهم فلم يُسقوا «وكان بأرض هذا الملك رجل من المسلمين يُقرئ القرآن ويُعلّم السنّة فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك، فقال له: أيها الملك لو آمنت باللّه تعالى وأقررت بواحدنيته وبمحمد ﷺ وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه، وأن تعمّ الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته، وأقرأه من كتاب اللّه ما تيسّر عليه، وعلّمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله، ثم أمهله إلى ليلة جمعة فأمره فتطهّر فيها طهراً سابغًا وألبسه المسلم ثوب قطن عنده وبرزا إلى ربوة من الأرض، فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتمّ به فصليا من الليل ما شاء اللّه والمسلم يدعو والملك يُؤمّن، فما انفجر الصبح إلاّ وقد عمّهم اللّه بالسقيا. فأمر الملك بكسر الأصنام، وأخرج السحرة من بلاده، وصحّ إسلامه وإسلام عقبه، وأُطلِق

(١) إحدى ممالك السودان الغربي القديمة، وتقع في حوض النيجر الأعلى.
(٢) انظر «العبر» لابن خلدون (٦/ ٢٠٠).

عليه لقب المسلماني فما عاد يُعرف إلا به.

ولم يكن المسلماني هو الملك الوحيد الذي اعتنق الإسلام على يد العلماء والدعاء فقد اعتنق ملك سنغاي زاكوسي الإسلام ـ فيما بين سنتي ٤٧١ ـ ٤٧٥هـ[١] .

ومَلك مدينة جني[٢] في عهد المرابطين في أواخر القرن الخامس الهجري جمع كل العلماء المسلمين في مملكته فكان عددهم أربعة آلاف ومائتي عالم وأسلم على يديهم، وطلب منهم أن يدعوا اللّه أن ينصر مدينته ثم هدم قصره وبنى مكانه مسجدًا عظيمًا مبالغة في حبه للدين الإسلامي[٣] .

*** رجل من أمة التوحيد يُسلم على يديْه أربعة آلاف من الأجانب :**

هذا الرجل المبارك الأمة هو المهندس محمد توفيق بن أحمد مؤسس «دار تبليغ الإسلام» أثناء إقامته في سويسرا في بعثة هندسية (١٩٢٩ ـ ١٩٣١) يعمل في صمت منذ خمسة وستين عامًا، وهو محرر مجلة البريد الإسلامي وصاحب امتيازها، والذي أسلم على يده أربعة آلاف من الأجانب، منهم قسيس يعمل أستاذًا للأدب في جامعة الفاتيكان، وقاضي جزيرة سان موريس، والقائد الهولندي «كلنجر» الذي أسمى نفسه «محمد توفيق كلنجر» تيمنًا باسم صديقه الأستاذ محمد توفيق.

أصدر بداية مجلة اسمها «التقوى» وطبع من العدد الأول منها ألف نسخة، ووزعها فانتشرت بحمد اللّه انتشارًا واسعًا، وكان يكتب عليها ـ كما

---

(١) «الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين» لمحمد محمود عبداللّه بن بيّه ص(٢٧٨ ـ ٢٧٩) ـ دار ابن حزم.

(٢) «مدينة على النيجر الأعلى».

(٣) «الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين» ص(٢٨١ ـ ٢٨٢).

يكتب على مجله البريد الإسلامي: «اقرأها وأعطها لغيرك مشكورًا». وواصل إصدار «التقوى» حتى سنة ١٩٣٥.

ولَمَّا رشح في بعثة هندسية إلى سويسرا عام ١٩٢٩م، يقول: «وهناك شعرت بحاجة الأوروبيين للحصول على فكرةٍ صحيحة وموضوعية عن الإسلام، ومن ثم بدأ العمل لتبليغ الإسلام «دار تبليغ الإسلام» وهو اسم معنوي كنت أعمل من ورائه ولا زلت، وكانت كل الرسائل والإعلانات التي أبعث بها إلى الصحف الأوروبية، أو أنشرها من خلالها: باسم محمد توفيق محرر مجلة «التقوى» في القاهرة، وكنت أتسلم كثيرًا من الرسائل على المنزل الذي كنت أسكن فيه، وبالطبع كنت أرد عليها، وفي كل مكانٍ كنت أتواجد فيه، أجد كثيرًا من الأسئلة المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وكانت صورة الإسلام مشوهة من أعداء الإسلام والمستشرقين، ومن حَسَنِي النية الذين يصدقون كل ما يقرءون فيعتقدون أن الإسلام بهذه الصورة، وذات مرة قام أحد المبشرين واسمه روبلي أو دكتور روبلي، مفتش التبشير في أسوان في ذلك الوقت، وكان بصدد جمع تبرعات للمساعدة في خدمات المستشفى التبشيري في مصر، ونشر في الصحف أنه سيلقي محاضرة عن مصر وفلسطين، وحدد موعدها وحث الجمهور لحضورها، وكان مكان المحاضرة في أحد المعابد الأوروبية وتصورت وقتها أنه سيتعرض في محاضرته للإسلام، وفعلاً تناول في حديثه أشياء كثيرة تمس الإسلام، وتحدث في مواضيع كثيرة عن العرب وفلسطين ومصر، وقد حمل الرجل صورًا معه إلى المحاضرة، تسيء إلى الإسلام وإلى مصر أبلغ إساءة، ومن الصور التي عرضها بالفانوس في هذا الوقت، صورة جمل، وسيدة تركب خلف الرجل في المكان المنحدر من مؤخرة الجمل تكاد تسقط، ليوحى بهذا أن معاملة الرجل للمرأة في الإسلام سيئة. ثم قال: هل تتخيلون كيف يتم الزواج هناك؟!.

القول للدكتور روبلي: المرأة عند المسلمين تباع، فهناك التي يشتريها الزوج عند الزواج بعشرة جنيهات[1] ، وأخرى بعشرين، وثالثة بخمسين، كأنك تشتري عنزاً أو جاموسة، يمكنك أن تشتري المرأة، ويمكنك أن تتزوج ممن تعجبك بأي عدد تشاء ـ ولم يحدد الدكتور روبلي عدد النساء بأربع كما هو معروف!!.

وبعد هذا عرض د. روبلي صورة أُخرى لرجلين يمشيان، أحدهما معه مغزله يغزل به وأمامه زوجه تحمل حملاً ثقيلاً من القمح، قدره د. روبلي حسب الصورة بأنه أربع كيلات، وقال للمشاهدين الذين يشاهدون الصورة: هل تعرفون كم تحمل هذه المرأة؟ إنها تحمل ما يساوي أربع كيلات من القمح، وبالرغم من ذلك يقول زوجها لصاحبه: سأطلقها بالرغم من تفانيها وتعبها في خدمته، وبعد ذلك قال لهم: الآن سأعرض عليكم صورة لأكبر مستشفى رمدي في مصر في القاهرة، وجاء بصورة ضريح السيدة نفيسة، وتظهر فيه حلقات في جوانب الضريح، وجاء بأناس تظهر عيونهم بصورة قبيحة جداً، وقد وضعت عليها طبقاتٌ من الطين بشكل قبيح، تتقزز منه العين، وقال: هذه الطبيبة ـ السيدة نفيسة ـ من نسل النبي أُرسلت إلى مصر لتعمي المصريين!! وقال لهم: هل تعرفون كم عدد العميان في مصر؟ وأجاب: إنهم يمثلون (٣٠٪)! وعندما انتهت المحاضرة قدم المحاضرون التبرعات لهذا المبشر، ورغبت في أن أرد على د. روبلي، غير أن لغتي الألمانية لم تكن تسعفني في هذه المهمة، فقلت كلماتٍ قصيرة في نهاية المحاضرة، واستمع إليها الحاضرون؛ مؤداها أن لي تعليقًا قصيرًا ستقرءونه في الصحف، وأثناء خروجي اعتذرت له عن الإسهام في تقديم التبرعات، وعندما ذهبت إلى البيت قالت لي المرأة التي كنت أسكن عندها ـ غاضبةً ـ

(١) إشارة إلى المهر في الثلاثينيات من القرن العشرين.

وقد حضرت: هل دينكم بهذا الشكل؟ وهل الحياة في بلادكم على هذه الصورة القبيحة؟! غير أني لم أنم تلك الليلة، وجئت بجميع القواميس في محاولة مني لكتابة ردٍّ يصحح ما أثاره مفتش التبشير في محاضرته من أكاذيب ومغالطات، وفي الصباح صححت لي هذه المرأة الرد المكتوب بلغة ركيكة، وبعثت بهذا الرد إلى الصحف، وقد نسخت منه ثماني نسخ، ونشرت الصحف الرد في صفحاتها الأولى، وذكرت أنَّه لمحمد توفيق محرر مجلة «التقوى» بالقاهرة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لتأسيس «دار تبليغ الإسلام»؛ لتقوم بتقديم مفهوم صحيح عن الإسلام، ولتساعد الأجانب الراغبين في معرفة الحقيقة فيما يتصل بالإسلام، بلغاتهم الحية في مواجهة حملات التضليل والأكاذيب والتعصب»[1].

والغريب أن المهندس محمد توفيق أثناء إقامته بالفيوم درس في مدرسة تبشيرية، وغضب والده وطرده من البيت، وأقام إقامة داخلية بهذه المدرسة، واكتشف بفطرته أباطيل الإنجيل، وكتب في ذلك ثلاث كراريس مدرسية، رد بها على مستر «جلوي» مفتش التبشير، الذي لم يستطع الإجابة، وما قال له إلا: إن الذي كتب هذا الكلام شيطان وليس أنت. وضاق ذرعًا بالمدرسة التبشيرية، وعاد إلى أحضان أبويه بعد أن أطلع عمه ـ وكان ذا دين ـ على ما كتبه ابن أخيه ردًّا على الإنجيل.

❑ يقول الأستاذ عبداللطيف الجوهري ـ مؤلف كتاب «رجل من أمة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب» ـ للمهندس محمد توفيق، أثناء حواره معه الذي ذكره في كتابه، وكان هذا الحوار سنة ١٤٠٧هـ الموافق يونية سنة ١٩٨٧م، ونشر في مجلة «منار الإسلام» الظبيانية الغراء ص(١٠٨ ـ

(١) «رجل من أمّة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب» لعبداللطيف الجوهري ص(٢٢ ـ ٢٥). دار الصحوة للنشر.

١١٣): «ماذا عن رقم آخر بطاقة تزف للمسلمين بشرى ميلاد مسلم جديد. وما قصة إسلامه باختصار؟ فقال الشيخ محمد توفيق: آخر بطاقة رقم (٣٣٣٤) وصاحبها هولندي، جاء إلينا فأعطيته رسائلي ليقرأها، ولكن لم أر منه الحماس الكافي لاعتناق الإسلام، وفي مرة أُخرى زارني في صحبة صديق إنجليزي معه شديد التحمس إلى الإسلام، فعندما رأى هذا الحماس لدى الإنجليزي، عاد إليّ بعدما تفرغ لدراسة الإسلام، وأقر بالشهادتين وكتب إقراراً بالإسلام وأسلم»[1].

كان الشيخ المهندس محمد توفيق يراسل مثقفي العالم الذين يريدون فكرة صحيحة عن الإسلام، ويتلقى آلاف الرسائل على صندوق بريده برقم (١١٢) في القاهرة من مختلف أنحاء العالم.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إن اتجاهي لتبليغ الإسلام للأجانب، دفعني إليه ـ بالإضافة إلى واجب التبليغ على كل مسلم ـ افتتان العرب والمسلمين بالأجانب، فيما يعرف «بعقدة الخواجة» فأردت أن أتخذ من الأجانب حقلاً للدعوة الإسلامية، فإذا أسلم هؤلاء الأجانب، لفت ذلك أنظارنا في بلاد العرب والمسلمين ـ مما يلفتنا ـ إلى عظمة ديننا وضرورة الالتجاء إليه والتشبث بهديه»[2].

❑ ويقول: «إنني في مجال تبليغ الدعوة للأجانب، لا أترك الأجنبي الذي يراسلني بصدد دعوة الإسلام، إلا بعد ما يعلن الشهادتين، وفي العادة قد تطول المراسلة أو تقصر، وأقصر مراسلة انتهت بإعلان إسلام أحد الأجانب من ألمانيا استمرت شهرين، وأطولها استمرت سبعة عشر عامًا مع

(١) «رجل من أمة التوحيد» ص(٢٧).
(٢) «رجل من أمة التوحيد» ص(٥٩).

رجل من تشيكوسلوفاكيا، ومع هذا الأخير الذي كانت تربطني به صداقة، وكان يتردد على القاهرة ويتفضل بزيارتي، وكان مصرًّا على التمسك بعقيدته، بيد أنه جاءني ذات مرة، بعد مرور سبعة عشر عامًا على صداقتنا، وقال لي: إنني أحمل لك مفاجأة، فقلت له: ما هي؟ فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه»[1].

رحمه اللَّه، لقد تفرغ تفرغًا تامًّا لمراسلة الأجانب والرد على استفساراتهم طوال عمره المبارك الذي يناهز التسعين عامًا.

كتب إليه رجلٌ نصراني أجنبي: إن عمري ثمانون عامًا، وقد دأبت منذ نعومة أظافري على التردد على الكنيسة، وإن ما قدمته من معلوماتٍ عن المسيح، يفوق ما عرفت عنه في الكنيسة.

يراسل الشيخ محمد توفيق صيدليًّا كاثوليكيًّا يسكن في «بازل» على الحدود الفرنسية وزوجته، مدة طويلة بعد طول جهدٍ معهما، ويرسل إلى زوجة هذا الصيدلي ترجمة معاني القرآن الكريم، وتستوقفها أشياء، ويسافر الشيخ إلى «بازل» ويصل بقطار الساعة الرابعة بعد الظهر، وكانوا في انتظاره ـ الصيدلي وزوجه وأولاده ـ ولم يكونوا يعرفونه، وكان قد وافاهم بمواصفاته، وأنه طويل نحيف بنظارة ومعه كتاب لونه أحمر، وكان قد حمله ليعرف به، واهتدوا إلى معرفته، وفور وصولهم إلى البيت، قالت له زوجة الصيدلي: هل أنت متوضئ؟ فقال لها: نعم، فقالت: ونحن أيضًا متوضئون، ثم طلبت منه أن يصلي بهم إمامًا، فتأثر وبكى.

أم نقص حكاية الصبي الألماني، الذي كان والده يراسل الشيخ في موضوع «الإسلام» ووصلت مراسلته إلى قناعته بالإسلام، وكان الشيخ في

(١) «رجل من أُمة التوحيد» ص(٥٩ ـ ٦٠).

مراسلته قد ذكر له أن أول من أسلم من الصبية علي بن أبي طالب، ومن الرجال أبو بكر الصديق، ومن النساء خديجة بنت خويلد ﷺ، وبعد ما أعلن الرجل إسلامه، وبعث إلى الشيخ بإقرار الشهادة، أرسل إليه الشيخ شهادة اعتناق الإسلام، وعقب ذلك تلقى الشيخ رسالة من ابن الألماني الصبي وقال: أرجو أن ترسل لي الإقرار للتوقيع عليه، وشهادةً باعتناق الإسلام مثل أبي، فكتب إليه الشيخ يستمهله حتى يكبر ويزداد تعرفه على الإسلام، فأرسل من فوره رسالةً ذات منطقٍ مفحم، أقنع الشيخ وأثر فيه كثيرًا، حيث قال في رسالته: «هل طلب محمد بن عبدالله من علي بن أبي طالب أن يرجئ إسلامه حتى يكبر؟!» فلم ير إلا أن يلبي طلبه فورًا، ويرسل إليه الإقرار ليوقعه، ثم الشهادة باعتناق الإسلام[1].

يقول الأستاذ أنور الجندي عن المهندس محمد توفيق أحمد: «هذا رجل ليست له شهرة الأدباء، ولكن له مكانة العاملين في مجال الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية في صدقٍ وثبات، وقد اختار مجالاً لا يكاد ينافسه فيه أحد، وهو المحيط الخارجي، وفي قلب أوروبا بالذات، وأصدر مجلة «البريد الإسلامي» الزاهرة عام ١٩٤٣م، وأنشأ «دار تبليغ الإسلام» قبل ذلك عام ١٩٢٩م، بدأ عمله في سويسرا عن طريق الرسائل والإعلانات، ففي كل محطةٍ من المحطات على طول الطريق من النمسا إلى زيورخ إلى باول، تجد لوحًا تقول: «لقد علمت خطأ عن الإسلام، إن كنت تريد أن تعرف الحقيقة، فاكتب إلى فلان، فإذا أرسلت إليه، أرسل لك كتبًا صغيرة موجزة»، وقال لك: أرسل لي خمسةً من أصدقائك، ولا يلبث أن يرسل لهم بطاقاته، وامتد عمله في النمسا والسويد والنرويج وفرنسا، ونما هذا العمل الصامت الخالص لوجه الله، وفي سبيل التعريف بالإسلام، وتحرير

(١) «رجل من أمة التوحيد» ص(٨٥).

مفاهيمه، حتى كتب إلى مائة ألفٍ من البشر، قال لهم كلمة التوحيد، فكسب منهم أصدقاء، وكسب منهم معتنقين، ونشأ من خلال ذلك في هذه الأقطار مجتمعات إسلامية»[1].

يا سبحان خالق الهمم... يرسل خطابات إلى مائة ألف شخص!!.

ويقول الصحفي المغربي الأستاذ عبدالقادر الإدريسي عن الشيخ محمد توفيق في مقالة «الرجل المؤسسة»: «أسلم على يده أكثر من ثلاثة آلاف شخص... هذا هو المدخل الرئيسي إلى عالم صاحبي... التقيت به مرتين، تفصل بينهما ثلاث عشرة سنة كاملة، لم يتغير الرجل طوال هذه المدة، بل أستطيع أن أقول: إن قوته وعزيمته تزدادان مضاءً مع توالي الأعوام، الإشراق في عينيه يجذبك إليه بقوة، رجل ليس كالرجال، قمة من القمم الشامخة التي وهبت حياتها للّه رب العالمين... يحتفظ بمكتبه ـ الذي يشغل جناحًا من شقته المتواضعة ـ بملفاتٍ كاملةٍ عن الأشخاص الذين اهتدوا إلى دين اللّه على يده، أصناف متعددة من البشر، الصفة التي تجمعهم أنهم خارج الوطن الإسلامي، والحكاية لها بداية جديرة بالتسجيل: رحل صاحبي إلى أوروبا في الثلاثينيات، وأقام بإحدى المدن السويسرية، حيث عمل في الهندسة الكهربائية، وطالت إقامته في تلك الديار، وأقام علاقات عديدة مع مختلف الطبقات، مما أكسبه حسن السمعة وطيب الذكر، وأخذ في الدعوة إلى الإسلام في الأوساط المسيحية، ولقي عمله إقبالاً كبيرًا، وفوجئ بتدفق لم يكن يتوقعه من شتى الأوساط؛ المتعلمة والمثقفة والعادية، فزاده ذلك إقبالاً على المضي في هذا الطريق، ودخل الكنائس والمدارس والسجون

(١) «رجل من أمة التوحيد» ص(١١١ ـ ١١٢) نقلاً عن مقالة في مجلة «المنهل» الحجازية في رجب سنة ١٣٩٠ الموافق سبتمبر سنة ١٩٧٠م بعنوان «لقاء مع جيل الرواد المهندس محمد توفيق أحمد».

والنوادي الليلة، وأخذ ينفق على الدعوة من دخله الشخصي، وهداه تفكيره إلى استئجار الأماكن العامة، مثل دور السينما والنوادي وقاعات الاجتماعات؛ لإلقاء المحاضرات وإدارة الندوات، وفجأة وجد نفسه في عالم لم يخطط له. كان في البداية يقدر أن المسألة لا تعدو أن تكون عملاً متواضعًا. يقصد به وجه اللَّه لا أقل ولا أكثر، فإذا به أمام نتائج باهرة وحركة واسعة وإقبال لم يخطر على بال، وإذا باسم الرجل يتردد في أكثر من جهة في أوروبا، وإذا بالصحافة تكتب عنه، وإذا برجال الكنيسة يتحركون لمعرفة السر وراء هذا النجاح، فلما أيقنوا أن الرجل لا يدعمه أحد سوى اللَّه، كفوا عن المناوشة وسلموا أمرهم للَّه، حتى إن بعض الرهبان والقساوسة أخذوا يترددون عليه في مقر إقامته بمدينة بادن (أرجاو) بسويسرا لمناقشته والأخذ عنه، وكتب اللَّه لهذا العمل المتواضع الخالص لوجهه الكريم، أن يتسع ويمتد ويشع وينمو في اطراد، وكان أن ارتفع المعدل الشهري للذين يُقبلون على الإسلام، وبمرور الأعوام قفزوا إلى الألف الأُولى، ثم الثانية، ثم الثالثة، وهذا كله من فضل ربي الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً. اتخذ لنفسه شعارًا يلخصه في الجملة التالية: «الناس جميعًا أسرة واحدة، ربها واحد، ودينها واحد، هو الإسلام الذي دعا إليه جميع رسل اللَّه الكرام، والسعيد الناجي من فهم القرآن، وعمل على نشر تعاليمه التي تحقق المحبة والسلام بين بني الإنسان». وهو يطبع هذا الشعار على الرسائل التي يوزعها مجانًا بسبع لغات على القارات الخمس. هذا الرجل تخطى عتبة الثمانين ولا يزال في فتوة وحيوية الشباب.

رجل يستحق التكريم ممن جعل اللَّه تكريم الرجال على أيديهم... لقد أسعدني أن ألتقي بالمهندس محمد توفيق بن أحمد سعد، وهذا اسمه بالكامل. ألستم معي أن هذا الرجل يضاهي عمله عمل المؤسسات... إنه

بحق الرجل المؤسسة، ولا عجب»[١].

وتحت عنوان «مع العاملين في صمت وبلا دعاية» كتب الأستاذ محمد الجندي: «يذكر المهندس توفيق أحمد، أنه في الوقت الذي تحاصر فيه الصحافة الإسلامية وتخضع لأجهزةٍ متعددة من الرقابة، فإن جمعية «شهود يهوه» تصدر مجلة تسمى «برج المراقبة» وتوزع منها عشرة ملايين نسخة، وبتسع وسبعين لغة ولهجة في العالم، بينما كل المجلات والصحف في العالم الإسلامي لا تتجاوز إصداراتها في مجموعها علي مليون نسخة، وفي عددٍ محدود من اللغات، علمًا بأن جمعية «شهود يهوه» هي موسسة يهودية ترتدي ثوبًا نصرانيًّا مزيفًا، وتقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة، وإدخال نبوءات التوراة المحرفة في النفوس، والتي منها ما يبشر بعودة اليهود إلى فلسطين والتي تخدم الفكر الصهيوني. ودار تبليغ الإسلام تقوم على شخصٍ واحد، هو «الساعي ومسئول العلاقات العامة والمحرر ورئيس التحرير ومسئول المراسلات والتمويل وغيرها». وقد وصفته إحدى المجلات الإسلامية بأن هذا الجهد الكبير، الذي يقوم به، لا تستطيع مؤسساتٌ بكاملها عمله، ورجحت جهده على جهد أحد المؤتمرات الإسلامية، والتي أشرفت عليه مجموعة دولٍ في إحدى العواصم الأوروبية عام ١٩٧٦م، وكان هذا المؤتمر يهتم بالتراث من خلال مخطوطات إسلامية ومجموعة محاضرات، ورغم هذا لم يعلن أحدٌ إسلامه.

ويمنح المهندس توفيق أحمد شهادةً بإسلام من يرغب من الأوروبيين، ولا يتم منح هذه الشهادة إلا بعد إجراء الاختبارات الدقيقة حول الدوافع إلى اعتناق دين الإسلام، ويكتب في الشهادة أي خروج على تعاليم الإسلام

(١) مجلة «المسلمون» الدولية بلندن ـ العدد الصادر في ٢١ من رجب سنة ١٤٠٢/ الموافق ١٤ من مايو ١٩٨٢م.

يلغيها»[1].

«اقرأها وأعطها لغيرك مشكوراً، ولا تحتكرها فتأثم». كتبت هذه العبارة على مجلة البريد الإسلامي... فرحم اللَّه الرجل الأُمَّة المؤسسة... عالي الهمة... الشيخ الداعية المهندس محمد توفيق، الذي أسلم على يديه أربعة آلاف شخص، وكتب إلى مائة ألف شخص يدعوهم إلى الإسلام... هذه هي الأُسوة والقدوة.

*** الشيخ محمد جميل غازي الداعية المبارك يقضي عمره ذاباً عن التوحيد، ومدافعاً عن الإسلام، ومفسراً لكتاب اللَّه، ويُسلم على يديه القساوسة:**

كان التوحيد وتصحيح العقيدة أس دعوته وزبدتها ومنطلقها وغايتها.. وكم كانت له صولات وجولات.. وقام على يديه هذا الصرح المبارك «مسجد العزيز باللَّه» بمنطقة «حدائق الزيتون».. وعلّم الناس الاتباع، وحارب التصوف وبدعه.

وعلى منبر مسجد العزيز فسّر القرآن العظيم تفسيراً جميلاً يدل على رسوخ الشيخ في هذا العلم المبارك.

ودعا غير المسلمين إلى الإسلام: «فبدعوة من بعض قساوسة السودان ومبشّريه، وعلى رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت وتيخا رمضان ومن معهما من القساوسة، عُقدت مناظرة استغرقت ستة أيام.. في كل يوم ثلاث ساعات متتالية، في الفترة من ١٤٠١/١/٢٣ هـ إلى ١٤٠١/١/٢٩هـ، الموافق ١٩٨٠/١٢/١م إلى ١٩٨٠/١٢/٧م، بين ثلاثة من أعلام الفكر

(١) مجلة «الهدى» الخليجية ـ العدد الصادر في يوم الجمعة ١٤ من ذي الحجة سنة ١٤٠٥هـ.

الإسلامي: الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد ـ الذي كان من أخطر القساوسة المصريين وأسلم ـ واللواء المهندس أحمد عبدالوهاب علي الذي شُغل بمقارنة الأديان منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا، وبين القساوسة السودانيين وعلى رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت، وآمن جميع القساوسة والمبشرون المناظرون، وأسلم بإسلامهم خمسمائة»[1].

❑ واللَّه عز وجل لا يضيع جهد الداعية الدكتور محمد جميل غازي الذي ربما ظلّ في الدعوة بعيدًا عن أولاده خمسة أشهر متوالية، فرحمه اللَّه وأجزل له المثوبة.

❑ وهذا الداعية العظيم إبراهيم خليل أحمد، الذي كان رأسًا من رءوس التبشير والكفر في مصر والعالم، فإذا هو بعد إسلامه يجوب البلاد دعوة إلى اللَّه عز وجل، يتحدّث في جامعة أسيوط سنة ١٩٧٦م، فيقف بعد محاضرته سبعة عشر من شباب جامعة أسيوط ليعلنوا إسلامهم بكل جرأة.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «لقد شعرت أن الإسلام يفرض عليّ فرضًا، هو أن أحمل رسالة التبليغ، وأن أدعو برسالة لا إله إلا اللَّه.

فهلاّ اتعظ الغافلون من المسلمين بسير الرجال العماليق... وهلاّ آمن المبشرون الدّجالون الذين يصدق عليهم قول المسيح لليهود: «ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون؛ لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحدًا، ومتى حصل تجعلونه ابنًا لجهنم أكثر منكم مضاعفًا».

* الشيخ غازي ليث المنابر يُفحم مناوئي الإسلام:

نطق الشيخ وجهر بدعوة الإسلام ودافع عن دينه حين سكت وجمجم

(١) من كتاب «مناظرة بين الإسلام والمسيحية» طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد».

غيره ولنسق إليكم جزءًا من خطبة عيد الفطر سنة ١٤٠٦هـ لترى أي معدن من الرجال الربانيين كان ذلكم الرجل...

يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «ليست هذي خطبة بالمعنى الذي عهدناه وألفناه، فما أكثر ما خطبنا، وما أكثر ما تكلمنا، ولكن الذي نقوله اليوم هو تقرير عن الواقع الإسلامي، تقرير عن هذه السنوات التي نعيشها عبر الخمسين عامًا الأخيرة... في هذه السنوات الأخيرة رأى المسلمون ما رأوا من هجمات مسعورة القصد منها القضاء على الإسلام، وشارك في هذه الهجمات رؤساء يحكمون بلادًا إسلامية، ساهموا في قتل المسلمين، وساهموا في تنفيذ مذابح للأمة الإسلامية في كل مكان.

وأبدأ معكم الحديث منذ عام ١٩٢٤م مَن منكم يحفظ هذا التاريخ؟ احفظوه جميعًا، احفظوا أن في هذا التاريخ قام مصطفى كمال أتاتورك الخائن اللعين المثل الأعلى لأحد الحكام المصريين في هذه الحقبة الأخيرة الذي يخطب في مصر ويقول: إن مثلي الأعلى هو مصطفى كمال أتاتورك... مصطفى كمال الذي وأد المسلمين، وقتل المسلمين في تركيا، وقضى على الخلافة الإسلامية، يُعتبر القضاء على الخلافة الإسلامية هو أول مسمار دُقّ في نعش المسلمين. وقُتِل المسلمون جماعات... وقف مصطفى كمال أتاتورك في وجه العمل الإسلامي في تركيا، في بلاد القوقاز، وعلى بحر قزوين، ونادى بالعلمانية وهدم اللغة العربية، وكتب بالحروف اللاتينية، وحذّر أشد تحذير من أن تقوم علاقة بين المسلمين وبين القرآن الكريم، ضرب المساجد، ضرب المدارس الإسلامية، قضى على كل مظهر إسلامي في تركيا التي كانت في ذلك الوقت مقر الخلافة الإسلامية العظيمة التي هزّت أوربا، وأزعجت العالم كله، وروّعت الدنيا، وحققت انتصارات باهرة، ولكنه في أعقاب الحرب العالمية الأولى أعلن المتحاربون جميعًا سواء من هذه الجبهة أو

تلك أعلنوا أنه لا بد أن تقوم العلمانية، ولا بد أن توزّع تركة الرجل المريض، ومات الرجل المريض، مات الخليفة العثماني، وماتت معه تركيا، ومات العالم الإسلامي كله، ونشأت الإقليميات، وأخذت تطلّ برأسها القوميّات والوطنيات، نشأت القومية العربية وهي ضربة موجهة للإسلام نفسه، ونشأت جامعة الدول العربية وهي ضربة المقصود بها تصفية العالم الإسلامي، وبعد أن قامت القومية العربية، وبعد أن قامت جامعة الدول العربية قامت إسرائيل التي ما كان يمكن لها أن تقوم أبدًا لو أن الخلافة الإسلامية قائمة، ولو أن تركيا ما زالت على عهدها.

❑ رفضت تركيا الإسلام، رفضه مصطفى كمال أتاتورك وخلفاؤه وحلفاؤه الذين توافدوا على حكم الإسلام... ويقول الشاعر يبكي على الإسلام... يقول:

ما لي وللنجم يرعاني وأرعاه ... أضحى كلانا يعافُ الغمض جَفْنَاهُ
أَنَّى اتَّجَهْتَ إلى الإسلام في بلدٍ ... تَجِدْهُ كالطيرِ مقصوصًا جناحاهُ
وَيْحَ العروبة كان الكون مَسْرَحَها ... فأصبحت تتوارَى في زواياهُ
كم صَرَّفَتْنَا يَدٌ كُنَّا نُصَرِّفُهَا ... وبَاتَ يَحْكُمُنَا شعْبٌ حَكَمْنَاهُ
تاجٌ أَغَرُّ على الأتراكِ نَعْرِضُه ... ما بالنا نجدُ الأتراكَ تأْبَاهُ
ألمْ يَروْا كيف فدّاهُ معاويةٌ ... وكيف باتَ عليٌّ من ضحاياهُ
غالَ ابن بنت رسول اللّه ثم عدا ... على ابن بنت أبي بكرٍ فأرداهُ

وتمزّقت الأمة...

❑ انظروا إلى الخريطة، وانظروا إلى الدماء التي تسيلُ كل يوم.. دماءٌ موجودة في أفغانستان، ودماء موجودة كل يوم في كل مكان، ويا ليت الأمر توقّف على مجازر يقوم بها الشيوعيون الروس لقلنا إن الخطْب هيّن، ولكن للأسف الذي يقوم بتنفيذ مخططات الهجمات هُم الحكام المسلمون عَربًا كانوا

أو غير عرب، يدفعون ثمن الكراسي بدماء المسلمين في كل مكان.

*** الهجمة على الأوقاف الإسلاميةِ والمحاكم الشرعيةِ:**

ثم يقول الشيخ جميل في الهجمة على الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية: «جاء عميل قمئ من عملاء الهجمات المضادة للإسلام فقام بدور دنكيشوت فقضى على الأوقاف ثم المحاكم الشرعية وجاءت حادثة الشيخ الفيل والشيخ سيف، وأُلقي الرجلان الشريفان العظيمان أُلْقِيَا في فم الصحفيين، وبالمانشتات العريضة كانت صورهما تظهر في صفحات كاملة، وكتب زعيم الأدب العربي يصفّق فرحًا مستبشرًا كتب يقول: «الخطوة الثانية».

أي هذه هي الخطوة الأولى؛ القضاء على القضاء الشرعي، ونريد الخطوة الثانية وهي القضاء على الأزهر، القضاء على الأزهر بمعنى أن يصبح التعليم في مصر تعليمًا واحدًا مدنيًّا، ما ضرّ هذا الإنسان البغيض إلى ربه وإلى خلقه، ما ضرّه لو طالب بتوحيد التعليم فيصبح كله تعليمًا إسلاميًّا ولكن كلمة «إسلام» تقضّ المضاجع وتتعب كثيرًا من النفوس، وطالب بالخطوة الثانية... كتبها كانفجار من انفجارات الحقد الموجود في نفوس الهجمات المعادية للإسلام» اهـ[1].

▣ رحمك اللَّه يا شيخ جميل وأعطاك جزاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المجاهرين بالحق الصادعين به من العلماء الربانيين.

***

(١) تراجع الخطبة كاملة مسجلة «خطبة عيد الفطر سنة ١٤٠٦هـ لترى جرأة الشيخ ورباطة جأشه وصدعه بما لم يصدع به غيره في زماننا هذا.

أمـــا لك بالرجـــال أســـوة؟
أتسبقك وأنت رجل نِسْـــوة؟!

أَمَا لك بالرجال أُسوة؟ أتسبقك وأنت رجل نِسْوة؟!

إن الإسلام حدّد دائرة نشاط كل من الرجال والنساء، فجعل أمر الولاية والسياسة للرجال دون النساء، وقرّر أن الأصل للنساء القرار في البيوت. ومع انقياد المسلمات من سلف هذه الأمة لأمر ربّهنّ عز وجل في هذا الصدد فقد قمن بالإنكار على أصحاب السلطة حيثما وجدن إلى ذلك سبيلاً وإليك نماذج عطرة دالة على ذلك.

١ ـ إنكار عائشة رضي الله عنها على زياد تجرّده عن الثياب بعد بعثه الهَدْي:

بلغ أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ زياد بن أبي سفيان[1] بعث بهدي وتجرّد عن الثياب فأنكرت عليه ذلك. فقد روى الإمام أبو يعلى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كنت لأفتل قلائد بُدْن رسول الله ﷺ ثم يبعث بالهدي وهو مقيم عندنا لا يجتنب شيئًا مما يجتنب المحرم».

بلغنا أن زيادًا بعث بهدي وتجرّد، فقالت: «وهل كانت له كعبة يطوف بها حين لبس الثياب، فإنا لا نعلم أحداً تحرم عليه الثياب ثم تحلّ له حتى يطوف بالكعبة»[2].

فها هي الصديقة توبخ وتستنكر مستغربة تصرفه ذلك.

---

(١) (زياد بن أبي سفيان): أمّره معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على العراقين البصرة والكوفة، جمعهما له، ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه في سنة ثلاث وخمسين. انظر: «فتح الباري» (٣/ ٥٤٥)، و«عمدة القاري» (١٠/ ٤٠).

(٢) مسند أبي يعلى، مسند عائشة رضي الله عنها رقم الحديث ٣٨ (٤٣٩٤)، (٧/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨). وقال عنه محقّق الكتاب: «إسناده صحيح». هامش المسند (٧/ ٣٥٧).

٢ ـ أمر عائشة رضي الله عنها أمير المدينة بردّ المطلقة إلى بيتها:

طُلِّقت ابنة أخ لأمير المدينة المنورة مروان بن الحكم، فنقلها أبوها عبدالرحمن بن الحكم إلى بيته وهي في العدّة، فأرسلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى أمير المدينة المنورة تأمره بردّ ابنة أخيه إلى بيتها. فقد روى الإمام البخاري عن القاسم بن محمد وسليمان بن يسار أنّ يحيى بن سعيد بن العاص طلّق بنت عبدالرحمن بن الحكم، فانتقلها عبدالرحمن، فأرسلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إلى مروان ـ وهو أمير المدينة ـ: «اتق اللّه وارددها إلى بيتها».

قال مروان [في حديث سليمان (أحد راوة الحديث)]: «إنّ عبدالرحمن ابن الحكم غلبني»[(١)].

وقال القاسم بن محمد (أي في رواية الراوي الثاني): «أو ما بلغك شأن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها»[(٢)].

قالت: «لا يضرك أن لا تذكر حديث فاطمة رضي الله عنها»[(٣)].

فقال مروان بن الحكم: «إن كان بك شر فحسبك ما بين هذين من الشر[(٤)]»[(٥)].

---

(١) (إنّ عبدالرحمن بن الحكم غلبني): «أي: لم يطعني في ردّها إلى بيتها، وقيل: مراده غلبني بالحجة لأنه احتج بالشر الذي كان بينهما» «فتح الباري» (٩/ ٤٧٨).

(٢) (أو ما بلغك شأن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها): هذا أيضًا من كلام مروان كما جاء في رواية القاسم بن محمد. ويستدل بذلك مروان بإذن النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها بالانتقال من بيتها وهي في العدّة.

(٣) (لا يضرك أن لا تذكر حديث فاطمة رضي الله عنها): أي: أنه لا حجة فيه لجواز انتقال المطلّقة من منزلها بغير سبب. «فتح الباري» (٩/ ٤٧٨).

(٤) (إن كان بك شر فحسبك ما بين هذين من الشر): أي إن كان عندك أن سبب خروج فاطمة رضي الله عنها وما وقع بينها وبين أقارب زوجها من الشر فهذا السبب موجود، ولذلك قال: «فحسبك ما بين هذين من الشر» (المرجع السابق ٩/ ٤٧٨).

(٥) **صحيح البخاري**: كتاب الطلاق، باب قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، رقم الحديث =

٣ ـ إنكار أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما على الحجّاج قوله في ابنها:

قَتَل الحجّاجُ بن يوسف الثقفي عبداللَّه بن الزبير رضي الله عنهما ثم دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فبرّر قتله ابن الزبير رضي الله عنه باتهامه بإلحاد في الحرم فلم يكن من أسماء رضي الله عنها إلا أن فنّدت اتهامه وبيّنت أنه قد افترى على ابنها الكذب. فقد روى الإمام الحاكم عن أبي الصديق قال: لما ظفر الحجّاج على ابن الزبير رضي الله عنه فقتله ومثّل به، ثم دخل على أم عبداللَّه وهي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، فقالت: «كيف تستأذن عليّ وقد قتلت ابني؟»[1].

فقال: «إنّ ابنك ألحد في حرم اللَّه فقتلتُه ملحدًا عاصيًا حتى أذاقه اللَّه عذابًا أليمًا، وفعل به وفعل».

فقالت: «كذبت يا عدو اللَّه وعدو المسلمين! واللَّه! لقد قتَلتَه صوّامًا قوّامًا بَرًّا بوالديه حافظًا لهذا الدين. ولئن أفسدتَّ عليه دنياه لقد أفسد عليك آخرتك. ولقد حدّثنا رسول اللَّه ﷺ أنّه يخرج من ثقيف كذّابان، الآخر

= (٥٣٢١، ٥٣٢٢)، (٩/ ٤٧٧).

(١) وفي «صحيح مسلم»: ثم (بعد قتل ابن الزبير رضي الله عنهما) أرسل (الحجاج) إلى أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأبت أن تأتيه.

فأعاد عليها الرسول: «لتأتينّي أو لأبعثنّ إليكِ من يسحبكِ بقرونك».

قال: فأبت وقالت: «واللَّه! لا آتيك حتى تبعث إليّ من يسحبني بقروني».

قال: فقال: «أروني سبتي».

فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذّف حتى دخل عليها...

«صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذّاب ثقيف ومبيرها، جزء من الحديث ذي الرقم (٢٢٩)، (٤/ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢).

(يسحبك بقرونك): أي: يجرّك بضفائر شعرك.

(سبتي): هي: النعل التي لا شعر لها.

(يتوذّف): قال أبو عبيد: معناه: «يسرع». وقال أبو عمرو: معناه «يتبختر» (نقلاً عن هامش «صحيح مسلم» للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي (٤/ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢).

منهما أشرّ من الأول، وهو المبير[١] وما هو إلا أنت يا حجّاج»[٢].

اللَّه أكبر! ما أجرأها في الجهر بكلمة حق عند سلطان جائر! ولا عجب في هذا إنها ذات النطاقين ابنة الصديق رضي الله عنهما وعن أبيها وأرضاهما.

٤ ـ احتساب أم الطفيل على الفاروق رضي الله عنهما بسبب قوله في عدّة الحامل المتوفّى عنها زوجها:

اختصم عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما في عدّة الحامل المتوفّى عنها زوجها. فكان أبي بن كعب رضي الله عنه يرى أنّ عدّتها وضع الحمل، ولم يوافقه الفاروق رضي الله عنه على ذلك. فسمعت امرأة أبي بن كعب ـ وهي أم الطفيل رضي الله عنهما تحاورهما فاحتسبت على الفاروق رضي الله عنه مشيرة إلى مخالفته لما ثبت في السنة. فقد روى الإمام أحمد عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب رضي الله عنهما أنها سمعت عمر بن الخطاب وأبيَّ بن كعب رضي الله عنهما يختصمان فقالت: «أفلا يسأل عمر بن الخطاب سبيعة الأسلمية رضي الله عنها؟ توفي عنها زوجها وهي حامل، فوضعت بعد ذلك بأيام فأنكحها رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم»[٣].

---

(١) (المبير): المهلك انظر هامش «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٧٢).

(٢) «المستدرك على الصحيحين»، كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٥٢٦).
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». (المرجع السابق (٤/ ٥٢٦).
ووافقه الحافظ الذهبي انظر: «التلخيص» (٤/ ٥٢٦).
وروى نحوه الإمام أحمد انظر: «المسند» (٦/ ٣٥١)، (٦/ ٣٥٢).
وأصل القصة موجود في «صحيح مسلم» انظر: «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذّاب ثقيف ومبيرها، رقم الحديث (٢٢٩، ٤/ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢).

(٣) «المسند» (٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦).
وقال عنه الحافظ الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني أتم منه. وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات». «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٥/ ٢).

ومما نجده في هذه القصة أنّ علوّ مكانة الفاروق رضي الله عنه وعظيم منزلته لم يمنعا أم الطفيل رضي الله عنها من الاحتساب عليه لمّا وجدتْ أنّ رأيه يخالف من أرسله اللّه تعالى ليُطاع بإذنه ﷺ.

٥ ـ احتساب قرشية على الفاروق رضي الله عنه بسبب منعه الزيادة في مهور النساء:

صعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبر الرسول الكريم ﷺ وانتقد على الناس إكثارهم في صداق النساء، وهدّد من زاد فيه على أربعمائة درهم. ثم نزل الفاروق رضي الله عنه عن المنبر فاعترضته امرأة من قريش وأنكرت عليه خطبته تلك. فقد روى الإمام أبو يعلى عن مسروق قال: «ركب عمر بن الخطاب رضي الله عنه منبر رسول اللّه ﷺ ثم قال: «أيها الناس! ما إكثاركم في صداق النساء، وقد كان رسول اللّه ﷺ والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك. ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند اللّه أو كرامة لم تسبقوهم إليها. فلأعرفنّ ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم».

قال: ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش، فقالت: «يا أمير المؤمنين! نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم؟».

قال: «نعم».

فقالت: «أما سمعت ما أنزل اللّه في القرآن؟».

قال: «وأيّ لك؟».

فقالت: «أما سمعت اللّه يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠].

قال: فقال: «اللّهم غفرًا! كل الناس أفقه من عمر».

ثم رجع فركب المنبر، فقال: «أيها الناس! إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحبّ».

قال أبو يعلى: وأظنه قال: «فمن طابت نفسه فليفعل»[١].

وفي رواية أخرى: فقال عمر رضي الله عنه: «إن امرأة خاصمت عمر فخصمته»[٢].

لا عصمة لأحد من الأمة، فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ وهذا فاروق الإسلام عمر الوقّاف عند كتاب اللَّه تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر امرأة وعلى ملإ فينقاد رضي الله عنه من غير تردد... فرحم اللَّه حاكمًا سار على دربه.

٦ ـ نهي أم الدرداء رضي الله عنها عبد الملك بن مروان عن لعن الخادم:

كان عبدالملك بن مروان يستضيف أم الدرداء رضي الله عنها، وكانت تبيت عند نسائه، فسمعته يومًا يلعن خادمه فنهته عن ذلك. فقد روى الإمام أحمد عن زيد بن أسلم قال: كان عبدالملك بن مروان يرسل إلى أم الدرداء رضي الله عنها فتبيت عند نسائه، ويسألها عن النبي ﷺ.

---

(١) نقلاً عن «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٠٨).

وقال عنه الحافظ ابن كثير: «إسناده جيد قوي» (المرجع السابق (١/ ٥٠٨).

وقال عنه الحافظ الهيثمي: «رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، وقد وُثّق». «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٤/ ٢٨٤).

وقال عنه الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني: «وسنده جيد» «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» (٢/ ١٥٥).

ونقله الحافظ ابن الجوزي في كتابه: «مناقب أمير المومنين عمر بن اخطاب رضي الله عنه» ص(١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) نقلاً عن «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٠٩).

قال: فقام ليلة فدعا خادمه[١] فأبطأت عليه فلعنها، فقالت: «لا تلعن، فإنّ أبا الدرداء رضي الله عنه حدّثني أنّه سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «**إن اللَّعَّانين لا يكونون يوم القيامة شهداء[٢] ولا شفعاء[٣]**»[٤].

* وهَلْ ينبت الخطّي إلا وشيجه؟؟

لله در القائل:

وهل يُنبت الخطي إلا وشـيجه ويُزرع إلا في منابته النخل؟

انظر إلى صنيع ابنتي الحافظ عاصم بن علي بن عاصم أبي الحسين الواسطي:

«عن محمد بن سويد الطَّحَّان، قال:

كنا عند عاصم بن علي، ومعنا أبو عبيد القاسم بن سلام، وإبراهيم بن أبي الليث ـ وجماعة ـ وأحمد بن حنبل يُضربُ ذلك اليوم، فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي، فنأتي هذا الرجل فنكلمه؟

قال: فما يجيبه أحد. ثم قال إبراهيم بن أبي الليث: يا أبا الحسين أنا أقوم معك، فقال: يا غلام، خُفيَّ. فقال ابن أبي الليث: يا أبا الحسين أبلغ

(١) (خادمة): يقول الجوهري: «الخادم: واحد الخدم غلامًا كان أو جارية». الصحاح، مادة «خدم»، (٥/١٩٠٩). والمراد هنا «جارية» كما هو واضح من كلام الراوي الذي بعد ذلك: «فأبطأتْ عليه فلعنها».

(٢) (لا يكونون يوم القيامة شهداء): أصح الأقوال وأشهرها فيه: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات. (انظر: «شرح النووي» (١٦/١٤٩).

(٣) (ولا شفعاء): لا يشفعون حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار. (المرجع السابق (١٦/١٤٩).

(٤) «المسند» (٦/٤٤٨). وروى نحوه الإمام مسلم في «صحيحه». انظر: «صحيح مسلم»، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث (٨٥) (٢٥٩٨)، (٤/٢٠٠٦).

إلى بناتي، فأوصيهم وأجدد بهم عهدًا.

فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط، ثم جاء، فقال عاصم: يا غلام خُفيَّ.

فقال: يا أبا الحسين إني ذهبت إلى بناتي فبكين. قال: وجاء كتاب بنتي عاصم من واسط:

يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل، فضربه بالسوط على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق اللَّه، ولا تجبه، فواللَّه لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك قلت»[1].

*** امرأة من أهل الأندلس آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر:**

امرأة من أهل الأندلس يُقال لها الشلبية ولم يُعرف لها اسم كتب عنها المقرى والتلمساني:

«أنها كتبت إلى السلطان يعقوب المنصور تتظلَّم من وُلاةِ بلدها وصاحب خراجه:

قد آنَ أن تبكي العُيونُ الآبيهْ ... ولقد أرى أنَّ الحجارةَ باكيَه

يا قاصدَ المصر الذي يُرْجى به ... إن قدَّرَ الرحمنُ رَفْعَ كراهيهْ

ناد الأمير إذا وقفتَ ببابه ... يا داعيًا إنَّ الرعيَّة فانيه

أرسلتَها هَملاً ولا مَرْعىً لها ... وتركتَها نهبَ السِّباعِ العاديهْ

شِلْبٌ كلا شِلْبٍ، وكانت جنَّة ... فأعادها الطاغون نارًا حاميه

حافوا وما خافوا عقوبةَ ربِّهم ... واللَّهُ لا تخفى عليه خافيه

فيقال: أنها أُلقيت يوم الجمعة على مصلَّى المنصور، فلمّا قضى الصلاة وتصفَّحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها، وأمر للمرأة

(١) «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٦٤).

بصلة»[1].

❑ وعلى يد القانتات العابدات الصالحات ومن بيوتهن خرج الصبية والغلمان الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر:

جاء في كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

«عندما كان الحجاج يستعرض جنده، سمع غلامًا يقرأ: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٢٩ ـ ١٣١].

فنظرَ إليه، وقال: أرى لسانًا فصيحًا، تقدَّم يا غُلام.

فتقدم، فسأله الحجاج: أتحفظ القرآن يا غلام؟

قال: ما خفت ضياعه حتى أحفظه، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الحجاج: أجمعتَ القرآن؟

قال: ما كان مفرّقًا حتى أجمعه، فقد جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الحجاج: ويحك! ماذا أقول؟

قال: قل هل معك من القرآن شيء، فبهذا جاء الحديث.

فقال الحجاج: أتل شيئًا من القرآن.

فقرأ الغلام: «إذا جاء نصر اللَّه والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين اللَّه أفواجا».

فقال الحجاج: ويحك يا غلام، يدخلون في دين اللَّه أفواجا.

---

(١) «نفح الطيب» للمقري التلمساني (٤/ ٢٩٤).

قال الغلام: هذا في عهد رسول اللَّه ﷺ، أما في إمارة الحجاج يخرجون من دين اللَّه أفواجا.

قال: يا غلام، أنت مقتول، فبماذا تلقى اللَّه؟

قال الغلام: ألقاه بعملي، وتلقاه بدمي.

فعفا عنه»[1].

وجاء في كتاب «تذكرة الآباء وتسلية الأبناء» لابن العديم ص(٦٤) ما نصه:

«دخل الحسين بن الفضل على بعض الخلفاء، وعنده كثير من أهل العلم، فأحب أن يتكلم فَزَجَرَهُ وقال:

أصبي يتكلم في هذا المقام؟

فقال: إن كنتُ صبيًا فلستُ أصغر من هدهد سليمان، ولا أنت أكبر من سليمان حين قال له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢].

ثم قال: ألا ترى أنه فهم الحكم لسليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى».

*** السري السقطي يعظ أستاذه وهو صبي:**

جاء في كتاب «أنباء نجباء الأبناء» لابن ظفر المكي ص(١٤٦) ما نصه:

«بلغني أن السري بن المغلس السقطي قرأ على مؤدبه: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، فقال: يا أستاذ ما الورد؟

فقال: لا أدري.

فقرأ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]،

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري (٢/ ١٨٢).

فقال: يا أستاذ ما العهد؟

قال: لا أدري.

فقطع السري القراءة وقال: إذا كنت لا تدري فلم غررت بالناس؟ فضربه المؤدب، فقال السري:

❑ يا أستاذ ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى؟

فاستحله المؤدب وتاب إلى اللَّه تعالى من التأديب، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقني من رق الجهل السري».

*** وأخيراً: امرأة سبب في الهداية:**

يُروى أن أحمد بن طولون كان في أول عهده ظالمًا باغيًا، فلما ساءت الأحوال، وجبن العلماء عن نصحه اعترضته امرأة في الطريق فقدمت له بطاقة كتبت فيها:

«ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وأُنْعِمَ عليكم ففسقتم، ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم.. هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أجعتموها، وأكباد أوجعتموها.. اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا باللَّه مستجيرون، واظلموا فإنا إلى اللَّه متظلمون، وسيعلم الذي ظلموا أي منقلب ينقلبون».

فلما قرأها هدى اللَّه قلبه فعدل لوقته[1].

*** وراء كل عظيم امرأة:**

و«أجمع المؤرخون على أن جميع الأعمال الطيبة، والأفعال الحسنة التي

(١) «عالم أزهري حر يواجه السلطان الجائر بقلمه وقلبه ولسانه» للشيخ محمود عبدالوهاب =

قام بها المقتدي[١] ، فأكسبته الشهرة الفائقة، إنما كانت بتأثير زوجته (الخيزران)»[٢] .

❑ وفي العصر المتأخر كان للزوجة العاقلة أكبر الأثر في نصرة أعظم حركة تجديدية شهدتها الأمة منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري حتى يومنا هذا:

*** الأميرة (موضى بنت أبي وهطان) تحث زوجها الأمير محمد بن سعود على مؤازرة الدعوة الوهّابية:**

إذ لما قدم شيخ الإسلام (محمد بن عدالوهاب) ـ رحمه اللَّه ـ إلى (الدرعية) ليعرض دعوته على أميرها (محمد بن سعود) لعله ينصره بسيفه، ويحمي الدعوة التجديدية الوليدة، أوعز تلميذ شيخ الإسلام الشيخ (أحمد ابن سويلم العريني) إلى (ثنيان) و(مشاري) أخوي الأمير (محمد بن سعود)، وكانا من أنصار الشيخ وأتباعه، أوعز إليهما أن يستكشفا رأي أخيهما الأمير محمد في شأن الشيخ، ويقفا على مدى استعداده لمناصرة دعوته، فلم يترددا في قبول طلبه، وخَفَّا مسرِعَيْن إلى دار أخيهما الأمير محمد، وشرعا أوَّلاً بمفاوضة زوجته المسماة (موضى بنت أبي وهطان) من آل كثير، وكانت امرأة مشهورة بوفرة الذكاء والنباهة وسعة الإدراك، وقد تحدث الأخَوان إلى زوجة أخيهما طويلاً في المهمة التي جاءا من أجلها، وعن الدعوة التي يدعو إليها الشيخ، ومدى فائدتها في محاربة البدع والخرافات، ومكانة الشيخ، وما هو

= فايد (ص١٠٧) ـ دار الاعتصام.

(١) هو الخليفة محمد بن عبداللَّه المنصور.

(٢) «مرآة النساء» (ص٨٦)، وهي أم الهادي، وهارون الرشيد، ملكة حازمة، عاقلة، لبيبة، دَيِّنة، خيِّرة، متفقهة، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي، كما في «الأعلام» (٢/ ٣٧٥).

عليه من علم ومعرفة، وصفة ما يأمر به وينهى عنه، وأخيرًا طلبا إليها أن تفاوض زوجها لمناصرة الشيخ، وشَدِّ أزره، وإشهار السيف من غِمده في سبيل نصرة الدعوة التي يدعو إليها، فَوَعَدَتْهما خيرًا، وتم الاتفاق على ذلك، ونقلت السيدة (موضى) إلى زوجها ما دار بينها وبين أخويه من الحديث، وَدَعَتْهُ إلى تأييد الشيخ، ونصرة دعوته، وقالت له: إن هذا الرجل قدم إلى بلدك، وهو غنيمة ساقها اللَّه تعالى إليك، فأكرِمْه، وعظِّمْه، واغتنم نُصْرَتَه»، ثم رَغَّبَتْهُ، وحسَّنت إليه القيام بزيارة خاصة إلى دار الشيخ (أحمد ابن سويلم) لمقابلة الشيخ، لتكون إعلانًا جهارًا للملأ بأنه على نصرته، وتحت حمايته، لكي يعظمه الناس، ويكرموه، فوافق الأمير محمدٌ على نصيحة زوجته»، وتم اللقاء بينهما حيث أفاض الشيخ في شرح دعوته إلى التوحيد، ومحاربة الشرك والبدع، وتمت البيعة بينهما، وعقد التحالف على قيام الأمير (محمد بن سعود) بشد أزر الشيخ ونصرة دعوته، ودخل الشيخ البلد تلبية لدعوة الأمير، واتخذ له منزلاً بالقرب من دار الأمير (محمد بن سعود)[1] اهـ.

❑ وقد كان لهذه المرأة الصالحة الصادقة أكبر الأثر في مؤازرة زوجها وتشجيعه، وحثه على الصبر والسلوان حينما اندحر الجيش الذي قاده ولده عبدالعزيز وهزم هزيمة نكراء في (حائر)[2، 3].

---

(١) انظر «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لحسين خلف الشيخ خزعل (ص١٥٩ ـ ١٦١)، وكذا «السعوديون والحل الإسلامي» (ص١١٢)، «مجلة البحوث الإسلامية» العدد السابع عشر (ص٣٦٠) عام ١٤٠٦ ـ ١٤٠٧هـ.

(٢) السابق (ص٢٥٢)، ومن فضائل هذه المرأة العاقلة أن في كنفها وتحت عينها نشأ ابنها الإمام المجاهد، والبطل المجالد، أمير المسلمين في زمانه، العلامة الزاهد العابد، بقية السلف الصالح، تلميذُ إمام الدعوة السلفية: عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، الملقب بـ «مهدي زمانه»، المقتول غدراً بيد رافضيٍّ خبيث في صلاة العصر وهو ساجد سنة ١٢١٨هـ، رحمه اللَّه، وعفا عنه، وتقبله في الشهداء.

(٣) «عودة الحجاب» للشيخ محمد إسماعيل المقدم (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

✍ هذه الأمة العظيمة لا تزال بخير وهي معطاءة برجالها ونسائها. . . ما دام في الأمة من تسير على درب عائشة أم المؤمنين وذات النطاقين وأم الدرداء ﷺ فلا خوف عليها.

فعلِّموا النساء دين اللَّه عز وجل، حتى إذا تخنث الرجال وحاضوا، قامت ربات الخدور بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابطه الشرعية.

* * *